ملحق ذ

الخلفية الدينية واللاهوتية للسبي البابلي

بقلم د. بول تانر

١٢ حزيران ٢٠٠١

تضمّن العهد بين الرب وإسرائيل مسؤوليتها في تكريس نفسها بأمانة للرب. وحسب تثنية ٢٨–٣٠، إذا أطاعت إسرائيل الله وبقيت أمينة لشروط العهد، فإن الله سيجلب عليها البركات؛ غير إنها إذا عصت الله، فإنه سيجلب عليها اللعنات. وستأتي هذه اللعنات في مستويات من الشدّة متنوعة، لكن التمرد المطول سيؤدّي إلى السبي من أرض الموعد. وقد سبق أن حذّر الله إسرائيل من هذا تحذيراً مباشراً في تثنية ٢٨: ٣٦–٣٧،

> "يذهب بك الرب ويملكك الذي تقيمه عليك إلى أمّة لم تعرفها أنت ولا آباؤك، وتعبد هناك آلهة أخرى من خشب وحجر، وتكون دهشاً ومثلاً وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم."

اعتنقت إسرائيل، على مر التاريخ، آلهة الشعوب الأخرى في خرق مباشر للوصايا العشر. وعلى الرغم من أن الله أعطاها وقتاً كافياً للتوبة، إلاّ أن ميلها لعبادة الأوثان استمر. ولهذا جاء السبي في نهاية المطاف، أولاً لمملكة إسرائيل الشمالية في عام ٧٢٢ق م (على يد الأشوريين)، ثم لمملكة يهوذا الجنوبية في عام ٥٨٦ق م (على يد البابليين). وكان أحد أغراض السبي هو جعل شعب عهد الله يدركون بغض الله الخالق لعبادة الأوثان البغيضة. فكأن الله يقول ما مفاده، "إذا أعجبتكم الوثنية وعبادة الآلهة الأخرى إلى هذا الحد، فسأدفع بكم إلى مجتمع شغوف كلياً بهذا الأمر لتعرفوا مدى بغضي له." وقد أدّى التأديب إلى نتيجته المطلوبة، فبعد السبي البابلي لم تعد الأمة للوثنية ثانية.

ولكي نفهم شيئاً عن الثقافة والحضارة التي وضع فيها دانيال والمسبيون اليهود الآخرون، يجب أن نعرف شيئاً عن الطبيعة الدينية لبابل. على الرغم من أن أشور وبابل كانتا قوتين سياسيتين متنافستين على مدى قسم كبير من تاريخ الشرق الأوسط، إلاّ أن هاتين القوتين اشتركا في كثير من أمور دياناتهما.[1]

[1] See M.J.A. Horsnell, "Religions of the Biblical World: Assyria and Babylonia," in *The International Bible Encyclopedia*, ٤: ٨٥–٩٥; Helmer Ringgren, *Religions of the Ancient Near East* (Philadelphia: The Westminister Press, ١٩٧٣), ٤٩–١٢٣; and Joan Oates, Babylon, ١٧٠–٨٠.

وقد اشتق قسم كبير من الديانات الأشورية – البابلية من الثقافة أو الحضارة السومرية السابقة. وعلى نقيض ديانة إسرائيل التوحيدية الصارمة، كانت الديانة الأشورية البابلية تؤمن بعدد كبير من الآلهة. وفضلاً عن ذلك، كانت هذه الآلهة في الغالب في صراع أحدها مع الآخر. وهنالك روايات أسطورية عن الخلق وطوفان شامل في نفس الوقت، لكن الخليقة لم تأتِ نتيجة لكلمة منطوقة من إله واحد (كما هو الحال مع إله إسرائيل، يهوه).

شاع الاعتقاد في منطقة ما بين النهرين أن الإنسان خلق لكي يخدم الآلهة. وقائمة الآلهة طويلة بحيث يتعذر علينا إدراجها جميعاً هنا (إذ يوجد ما يزيد على ٣٠٠٠ إله من قوائم الآلهة أو من الأسماء الشخصية التي تتضمن اسم إله). وفضلاً عن ذلك، فإن كثيراً من صفات هذه الآلهة ووظائفها تتقاطع أحياناً. غير أننا سنتحدث قليلاً عن ثلاثة من الآلهة الكونية، وثلاثة من الآلهة النجمية، وبعد ذلك آلهة بارزة أخرى.

الآلهة الكونية الثلاثة

١. آنو

كان "آنو" (وتعني "السماء") أبا الآلهة وملكها، حيث تجسّم السماوات. وعلى الرغم من أنه كان نظرياً الإله الأعلى، إلاّ أنه كان من ناحية عملية سلبياً إلى حد ما. أمّا رفيقته فكانت مرّة آنتو ومرة أخرى عشتار، ومدينته الرئيسية هي أوروك. ويفترض أن الشياطين أو الأرواح الشريرة اشتقت منه.

٢. إنليل

يمثّل "إنليل" (ويعني "رب الريح" أو "الرب الريح") الغلاف الجوّي والريح والعاصفة. وهو عملياً الإله الرئيسي. وهو أيضاً يملك "ألواح المصير" التي تقرر مصير العالم. ومدينته هي نبّور.

٣. إي

إي "هو إله المحيط ذي المياه العذبة، وإله الحكمة والسحر والفنون والحِرف والثقافة ومصدر كل أسرار المعرفة السحرية.

الآلهة النجمية الثلاثة

١. يمثل "سِن" القمر. ومدينته الأساسية هي أور، لكنه كان يُعبد في حرّان في شمال منطقة ما بين النهرين. وقد حاول نبونيدس، (أبو نبوخذنصّر) آخر أباطرة البابلية الجديدة، أن يجعل "سِن" الإله الأعلى.

٢. شَماش

يمثّل "شَماش" الشمس، وكان إله العدل والمساواة (بالإضافة إلى كونه قاضي الآلهة).

٣. عشتار

"عشتار" هي أهم إلهة بين الآلهة الإناث، وقد تمثّلت فيها وظائف الآلهة الإناث الأخرى وخصائصها. وكان ينظر إليها على أنها إلهة الحب والخصب والحرب أيضاً. وكانت عبادة عشتار شائعة في بابل. وكانت بوابة عشتار أحد أهم الاكتشافات الأثرية من آثار بابل (وهي بواية رئيسية من بوّابات المدينة مخصصة لها). وقد صارت فيما بعد أهم إلهة عبر آسيا الغربية وكانت أيضاً الزهرة، نجمة الصباح والمساء. وغالباً ما كانت تمثَّل راكبة على حيوانها المقدس، الأسد.

آلهة أخرى بارزة

١. أداد

"أداد" هو إله الرعد والعواصف المطرية (ونظيره في الثقافة الساميّة الغربية هي هَداد (هدد). وهو قادر أن يكون محسناً خيراً بإعطاء النباتات القدرة على الحياة والنمو، أو هدّاماً من خلال الفيضانات.

٢. أشور

صار "أشور" الإله القومي لإمبراطورية أشور.

٣. مردوك (="بيل" الكنابي)

إن "مردوك" إله ذو أهمية خاصة في دراستنا لأنه هو الذي اختير ليكون الإله القومي لبابل. وبهذه الصفة مارس الوظائف المخصصة للآلهة الآخرين واكتسب مكانة بارزة من الكرامة في بابل.[٢] وبصفته ابن "إي"، كان إله السحر والتعاويذ، وكانت بابل مدينته الرئيسية التي يقع فيها هيكله (الذي يسمى إيساجيلا). ولاشك أن دانيال ورفاقه شاهدوا بأم أعينهم عبادة مردوك.

[٢] يقول جابلين إن تفوق مردوك وسيادته على الآلهة الأخرى حدث في مرحلة مبكرة من تاريخها، أي ما يزيد على ألف سنة قبل زمن نبوخذنصّر:

"عندما تولى حمورابي السلطة السياسية في بابل (حوالي ١٧٥٠ق م)، أصبح إله البابليين مردوك الإله الأعلى بين الآلهة السومرية الأقدم بصفته خالقاً وحاكماً – وهو مركز سبق أن احتله إنليل لكنه تثبّت لمردوك في شريعة حمورابي (ANET, pp. ١٨٠-١٦٣) وملحمة الخلق (ANET, pp. ٦٠-٧٢)" (P.W. Gaebelein, Jr., "Marduk," ISBE, ٣: ٢٤٤). وفي ملحمة الخلق *إنوما إليليش*، يصبح مردوك البطل الحقيقي. وكانت هذه الملحمة تنشد في اليوم الرابع من احتفالات السنة الجديدة في بابل.

٤. نَبو (بالعبرية = نِبو)

وهو إله هام آخر، وهو إله بورسبّا، وهو ابن مردوك. وشاعت عبادة "نبو" بشكل عظيم في الألفية الأولى ق م، حتى في بابل. وهكذا قد يعني اسم نبوخذنصّر "يا نَبو، احْمِ ذرّيتي."[٣] ولعب نبو دوراً في احتفالات السنة الجديدة أيضاً.

لم تكن الديانة الأشورية والبابلية تتسم بالتعدد الهائل للآلهة فحسب، بل مليئة بالخرافات والخزعبلات أيضاً. فقد آمن معتنقو هذه الديانة أن أرواحاً شريرة كثيرة تهاجم الناس وتصيبهم بالمحن والأمراض. ومن هنا اعتقد الناس أنه يمكن التخلص من المصير السيء باسترضاء هذه الآلهة. وكانت خدمة الآلهة والعرافة والسحر أسلوب حياة. وفضلاً عن ذلك، كان تعزيز الديانة الوثنية المحلية يعتبر أمراً هاماً. واعتُبر الملك رئيساً لهذه الديانة الوثنية، على الرغم من أن الوظائف المتنوعة للديانة كانت من ناحية عملية تفوّض لآخرين. يقول هورسنل،

"اعتقد البابليون القدماء أن الحكم الملكي نزل من السماء، وجاء منحة من الآلهة. وهكذا حكم الملوك بمرسوم إلهي . . . . . كان الملك رئيساً للديانة الوثنية وأهم خادم للآلهة، وهو يحمل مسؤولية إدامة الديانة الوثنية بشكل صحيح وبناء المعابد في مملكته وترميمها."[٤]

كان مردوك هو الإله الرئيسي المعبود في بابل على الرغم من بناء هياكل لآلهة أخرى فيها.[٥] وقد حقق نبوخذنصّر الدور المتوقع منه كقائد للديانة الوثنية على مدى جزء كبير من حياته على الأقل.

---

[٣] يقدم وايزمان (D.J. Wiseman(*Nebuchadrezzar and Babylon*, T٦c Schweich Lectures [Oxford Univ. Press, ١٩٨٥], (٥-٢ نقاشاً جيداً لمعنى نبوخذنصَّر، على الرغم من وجود بعض الخلط والخلاف حول المعنى الدقيق له. يقول، "إن المعنى المعطى للاسم سابقاً "يا نَبو احْمِ حدودي" يرجح الآن أن تكون ترجمته "يا نَبو احْمِ ذرّيتي."

[٤] M.J.A. Horsnell, "Religions: Assyria and Babylonia," *ISBE*, ٤:٨٨.

[٥] على الرغم أن الهيكل الرئيسي في بابل كان هيكل مردوك الواقع في وسط المدينة، إلاّ أنه كانت هنالك معابد أخرى للآلهة جولا وشماش وأداد وبَليت نينا وعشتار. انظر خارطة بابل في (*Babylon*, by John Oates, ١٤٨)

ونجد في نقش قديم تسبيحاً وصلاة من نبوخذنصّر لمردوك:

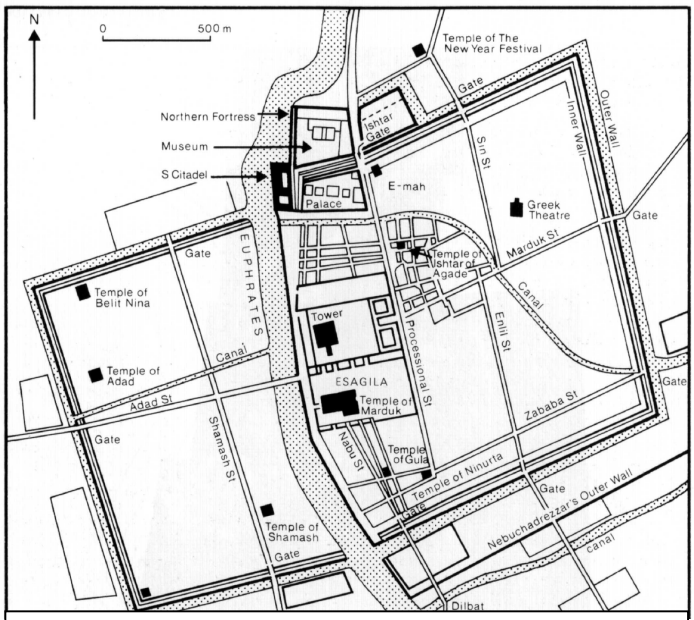

مخطط تنظيمي للقسم الداخلي لمدينة بابل في العهد البابلي الجديد مصدر الصورة: جي.

"جعلتُ مدينة بابل الأولى في كل البلاد وكل مجتمع بشري؛ ورفعت اسمها ليكون الأجدر بالمديح بين المدن المقدسة .... وبنيت مقادس لسيديَّ نبو ومردوك (كحاكم) حكيم ..... وقد قمتُ متكلاً على قوة سيديَّ نبو ومردوك بتنظيم جيشي لشن حملة على لبنان.....

"يا سيدي مردوك، انظر بعين الرضى إلى أعمالي العظيمة كأعمال صالحة. ليت أعمالي الصالحة هذه تكون دائماً أمام فكرك لكي أسير في إيساجيلا وإزيدا اللتين أحبهما حتى الشيخوخة. ليتني أبقى دائماً واليك (شكاناكّو *šakanakku*) الشرعي.

ليتني أسحب نيرك إلى أن أُتخم بالذرية. ليتَ اسمي يذكر مستقبلاً بالخير. وليت ذرّيتي تسود إلى الأبد على كل أصحاب الرؤوس السوداء."[٦]

[٦] هذا النص مأخوذ من النقش المسمى نقش وادي بريسا كما نشره بريتشارد (James B. Pritchard, ed., *Ancient Near Eastern Texts*, ٣rd ed., ٣٠٧.

لابد أنه كان أمراً مذلاً لنبوخذنصّر ملك بابل ورئيس ديانة مردوك الوثنية أن يكرم إله دانيال:

"وعند انتهاء الأيام، أنا نبوخذنصّر، رفعت عيني إلى السماء، فرجع إلي عقلي، وباركتُ العلي وسبّحتُ وحمدتُ الحيّ إلى الأبد، الذي سلطانه سلطان أبدي، وملكوته إلى دور فدور. وحُسبتُ جميع سكان الأرض كلا شيء، وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض، ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له، ماذا تفعل؟"[٧]

اعتقدت ديانة ما بين النهرين أن الإنسان خُلق لكي يخدم الآلهة ومن هنا كانت صورة (تمثال) الإله هامة (حيث كان الإله يُعتبر موجوداً في صورتها/ شكلها). وعندما كان (التمثال) يُحمل إلى ساحة الحرب، بقي الإله غائباً حتى عودة التمثال. وأثناء المهرجانات والاحتفالات كان التمثال يُحمل عبر الشوارع في موكب مهيب.

تركزت الديانة في بابل حول هيكل الإله، وكانت في بابل عدة هياكل. وكان المعبد الرئيسي بطبيعة الحال هو معبد مردوك المسمّى إيساجيلا. وضم كل مجمّع للهياكل زقورة، أي جبلاً عظيماً، من صنع الإنسان، من التراب والطوب من عدة مراحل يصل ارتفاعه إلى تسعين متراً. يتحدث هورسنل عن الهيكل فيقول،

"كان الهيكل مكان سكنى الإله، حيث يكون حاضراً على الأرض لكي يقدم البركة للمدينة والشعب، ولكي يقترب منه الكهنة والحكام. وكانت تقام في الهيكل كثير من الطقوس الوثنية، خاصة العبادة (آك. *دولو dullu*) اليومية."[٨]

ويشرف على التقدمات اليومية والذبائح الحيوانية كهنة وطاقم من عمّال الهيكل.

كان يعقد في كل ربيع مهرجان هام. . . احتفال السنة الجديدة لتكريم رئيس آلهة المدينة. وكان يعقد "مهرجان أكيتو" هذا أثناء أول الأيام الإحدى عشر الأولى من شهر نيسان Nisan (أي نحو وقت فصح إسرائيل). وفي اليوم الثاني من الاحتفال، "كان كاهن *šešgallu* شيشجالّو يرفع صلاة إلى مردوك مُطرياً على انتصارات هذا الإله وطالباً رضاه وبركته على بابل وسكانها ومعبد إيساجيلا."[٩] ويصل أثناء هذا الاحتفال الإله نبو، وهو ابن مردوك، من بورسِبّا المجاورة. وفي اليوم العاشر من الاحتفال، يصحب ملك بابل مردوك، أي تمثاله، ويقود موكباً من إيساجيلا عبر بابل.

---

[٧] دانيال ٤: ٣٤–٣٥.

[٨] Horsnell, ٤:٨٩

[٩] المرجع السابق.

يشار في الكتاب المقدس إلى مردوك باسم بيل (בֵּל) وتعني "رب"، ويشار على نَبو على أنه نبِو (נְבוֹ). وفي الإصحاح السادس والأربعين من إشعياء، نادى النبي قبل ما يزيد على مئة عام من زمن دانيال بتفوّق يهوه على آلهة بابل (حتى قبل أخذهم إلى السبي). "قد جثا بيل، انحنى نبو. صارت تماثيلهما على الحيوانات والبهائم" (إشعياء ٤٦: ١؛ قارن إرميا ٥٠: ٢؛ ٥١: ٤٤). ومضى إشعياء يقول إن يهوه سيدين بابل وأنه سينقذ شعب عهده منها.

وتحدّى الرب (من خلال النبي إشعياء) بابل هازئاً باعتمادها على الممارسات الوثنية:

> "فيأتي عليكِ شر لا تعرفين فجره؛ . . . . قفي في رُقاكِ وفي كثرة سحوركِ التي فيها تعبت منذ صباك. ربما يمكنك أن تنفعي. ربما تُرعِبين. قد ضعفتِ من كثرة مشوراتك. ليقف قاسموا السماء الراصدون النجوم، المعرّفون عند رؤوس الشهور، ويخلّصوكِ مما يأتي عليك."[١٠]

لن ينفع بابل في يوم افتقاد الله لها بالدينونة اعتمادها على الممارسات الوثنية. وسيأتي يوم في حياة دانيال نفسه حين تقاطع القوات المادية-الفارسية بقيادة كورش مأدبة بلشاصّر وتستولي على المدينة وتنهي الإمبراطورية البابلية الجديدة. وعلى نقيض إسرائيل التي يمكنها أن تتطلع إلى كلمة الله المعلنة للإرشاد حول الحياة المستقبل وما هو فائق للطبيعة، اعتمدت بابل على المعلومات الخارقة التي تأتي من خلال قنوات الممارسات الوثنية. وكانت إحدى تلك القنوات أو الوسائل هي العرافة (وهو أسلوب من أساليب الاتصال مع الآلهة) سعى البابليون من خلالها إلى معرفة إرادة الآلهة والمصائر التي قدّرتها للناس. ومن خلال المعلومات التي يحصلون عليها بالعرافة، كانوا يأملون تجنب المصائب واختيار نتائج أفضل.

[١٠] إشعياء ٤٧: ١١-١٣

وقد شاعت وسائل متنوعة لممارسة العرافة،[١١] وتم تأليف كتب إرشادية لمساعدة المختصين بالعرافة.[١٢] وموروست عرافة الأحلام لتفسير مضمون الأحلام.[١٣] ولم يكن بالأمر الغريب أن يقوم نبوخذنصّر (راجع دانيال ٢) باستدعاء حاشيته من أجل تفسير حلمه. وفي بعض الأحيان كان الفرد ينام في الهيكل آملاً أن يتلقّى حلم استنارة من الآلهة وقد درس البابليون علم التنظيم بشغف. وغالباً ما كانت تفسر حركات الكواكب والنجوم والظواهر السماوية على أنها نُذُر شر تؤثّر على الأمة.[١٤] وصارت بابل أكبر مركز للعرافة المبنية على التنجيم. وشاعت أيضاً ممارسة السحر. يقول هورسنل،

"كان السحر والعرافة وثيقي الصلة أحدهما بالآخر. إذ سعت العرافة إلى معرفة إرادة الآلهة ومصائر الناس من خلال تفسير نُذُر الشر، بينما سعى السحر (تحضير الأرواح وطرد الأرواح) إلى إبعاد القوى الشريرة التي أشارت نُذُر الشر إلى قرب غزوها لحياة الناس بالمرض والمصائب."[١٥]

---

[١١] يقول أوتس، "استخدمت مجموعة كبيرة متنوعة من الأساليب في العرافة، بما في ذلك مراقبة أحشاء الحيوانات، والزيت في الماء، والدخان الصاعد من البخور، وسلوك الطيور والحيوانات الأخرى، والظواهر النجمية والطبيعية" (*Babylon*, ١٧٨)

[١٢] يعلّق أوتس على أهمية ممارسي العرافة فيقول:

"كان كبار ممارسي العرافة ذوي نفوذ حقيقي، ومقدَّرين كثيراً في مجتمعهم. وكانوا يستشارون في كل المناسبات الهامة من قبل الأفراد العاديين ومسؤولي الدولة على حد سواء، وكان الجيش يصاحبه دائماً عرّاف. . . . ." (*Babylon*, ١٧٨)

[١٣] كانت الأحلام تقدّر تقديراً عالياً، حتى إن بعضها كان يعتبر إعلاناً من الآلهة. وقد كشف التنقيب عن الآثار (الأثري) عن مخطوطة مسمارية على اسطوانة من الطين المشوي محفوظاً جيداً يسجّل فيها نبونيدس (٥٥٥–٥٣٩) حلمه الشهير في ما يتعلق بإعادة بناء هيكل إله القمر في حرّان: "في بداية حُكمي سمحت لي الآلهة بأن أرى حلماً: وقف فيه كل من "مردوك" الرب العظيم، و"سن"، نور السماء والأرض."

[١٤] يكتب رنجرن في (ديانات الشرق الأدنى القديم)،

"بمرور الوقت تحولت ملاحظة الأجرام السماوية إلى نظام تنجيمي. وصار كل كوكب مرتبطاً بإله، وصارت مساراتها في السماء دلائل محددة على أحداث ستأتي على الأرض. وسُمّيت السماء النجمية أحياناً "كتاب السماء" (*šiṭir šamê* ‏شطير شامي‏)، أي كتابة تكشف نوايا الآلهة . . . . ونحن لا ندري على وجه اليقين متى وأين برزت نظرية أن حياة الإنسان تعتمد على موقع النجوم في لحظة مولده، مما أدى إلى تأسيس علم الأبراج. لكن الدلائل الكثيرة تشير إلى أنها بدأت في بابل ذاتها، فمنها جاءت أقدم الأبراج المعروفة من عام ٤١٠ق م."

ومنذ زمن نبو نصّر (حكم ٧٤٧–٧٣٤)، سجل الكلدانيون بدقة أوقات حركات النجوم. وفي واقع الأمر، فإن تعبير "كلداني" صار يشير إلى "الفلكي". ويذكر أوتس (Babylon, ١١٥) وجود مرصد فلكي في بابل في مرحلة مبكرة تصل إلى حكم مردوك – أبلا – إدّينا الثاني (=مردوك بلدان الكتابي، ٧٢١–٧١٠ق م).

[١٥] Horsnell, "Religions: Assyria and Babylonia," *ISBE*, ٤: ٩٠.